61 – تفسير جزء عم – سورة الإخلاص

(25\3\1445 هـ)

الشيخ أ.د يوسف الشبل –وفقه الله–

(جامع البابطين)

بسم الله، الحمد لله، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا يا رب العالمين.

أيها الإخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك هذا اليوم هو اليوم الخامس والعشرون من شهر ربيع الأول من عام خمسة وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة.

مجلسنا المبارك مع القرآن الكريم قراءةً وتفسيراً وتدبُّراً وتأمُّلاً.

السورة التي بين أيدينا من قِصار السور، والحقيقة تُعدُّ من أهم سور القرآن الكريم، وورد فيها فضائل عظيمة بل إن من أحبَّ هذه السورة من أحبَّها أحبَّه الله، وأن هذه السورة سبب لدخول الجنة من حافظ عليها وردَّدها بكثرة كانت سببًا لدخول الجنة.

هذه السورة سورة عظيمة، النبي صلى الله عليه وسلم عظَّمها فقال [أيكم يعجز أن يقرأ القرآن في ليلة؟] ثم قال [من قرأ سورة الإخلاص فكأنما قرأ ثلث القرآن]، فإذا قرأتها ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله يعني يعدل فضلها كمن يقرأ القرآن كاملا من حيث الفضل، من حيث الأجر والفضل لا من حيث الإجزاء، لكنه من حيث الفضل والأجر، فإن من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كلَّه.

لما أقول أن من أحبها أحبه الله أن رجلاً كان في سرية من السرايا في غزو فكان يقرأ صلي بأصحابه وكان يقرأ بعد الفاتحة أو بعد السورة التي تلي الفاتحة كان يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في كل ركعة كلما جاء في ركعة وقرأ الفاتحة وسورة قرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في هذه الركعة فتعجب أصحابه فلما جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم سأله، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم قال [من الذي دعاك إلى أن تفعل هذا؟] قال إنها سورة عظيمة وإني أحبها قال: [أحبك الله بما أحببتها] أو بسبب حبك لها، وفي أيضا حديث آخر وهذه حتى نقف معها وقفة هل يجوز للإنسان أن يقرأ مثل هذا؟ يعني

أنت الآن لو تبي تصلي سنة من السنن أو فريضة من الفرائض هل يجوز لك أن تقرأ بعد قراءة السورة التي تلي الفاتحة أن تقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في كل ركعة أم لا يجوز؟ أو نقول هذه خاصة؟ نقول هذا جائز لكنه ليس من السنة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولم يفعله أصحابه ولكنه أقره صلى الله عليه وسلم أقره في الحديث فما دام أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرَّ هذا الشيء دلَّ على الجواز على أنه يجوز أن تفعل ذلك أحياناً.

جاء في حديث آخر أن رجلاً كان يصلي بأصحابه في قباء في مسجد قباء وكان نفس العمل كان يقرأ سورة الإخلاص في كل ركعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم له: [ما الذي دعاك إلى هذا؟] فقال إني أحبها قال: [حبك أدخلك إياها الجنة أدخلك إياها الجنة].

جاء في أحاديث أيضًا في فضلها أحاديث كثيرة من هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقراءتها كل ليلة ثلاث مرات فمن السنة أن تقرأها كل ليلة ثلاث مرات يعني أولاً أنها سنة يعني تقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بأمره، والأمر الثاني ما يحصل لك من الفضل العظيم في قراءة ثلاث مرات.

شيخ الاسلام الابن تيمية رحمه الله تعالى ألف فيها كتابين، في هذه السورة السورة التي هي تقريباً سطر واحد ألف فيها كتابين: الكتاب الأول اسمه تفسير سورة الإخلاص، موجود ومطوع، والكتاب الآخر اسمه جواب أهل العلم والإيمان بأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن.

ألف فيها مؤلفين يعني يدل على عظم هذه السورة ومكانتها وشرفها.

قد يسألك سائل يقول طيب لماذا النبي صلى الله عليه وسلم قال أنها تعدل ثلث القرآن، ليش ما قال ربعه ولا نصفه؟

نقول لأن القرآن يحتوي على ثلاثة أقسام:

القسم الأول يتعلق بالعقائد وهذا هو الثلث الأول التوحيد والعقائد،

القسم الثاني يتعلق بالقصص، قصص القرآن،

والقسم الثالث يتعلق بالأحكام العملية كالصلاة والزكاة والصوم والحج، الأحكام كلها فلما كان القرآن بهذا التصنيف أنه ينقسم من ثلاثة أقسام كان حظ هذه السورة سورة الإخلاص كان حظها الثلث من هذا القرآن.

ورد في فضائل هذه السورة مثل ما ذكرنا هذه الفضائل، وأيضا لها يعني أوقات يستحب أن يأتي الإنسان بها ما هذه الأوقات التي يستحب الإنسان أن يفعلها أو يأتي بها.

منها ما هي السنن التي ينبغي لنا جميعاً أن نفعلها وأن لا تفوتنا في اليوم والليلة؟

ما هي السنن المتعلقة بسورة الإخلاص؟ متى نقرأها؟ هل نقرأها في كل وقت أم هناك أوقات محددة جاءت السنة فيها؟

نقول فيها أوقات أو فيه أشياء ومواضع وأحوال تُسن فيها قراءة سورة الإخلاص مثل ماذا؟

أولاً الوتر إذا أراد الإنسان أن يوتر من السنة أن يقرأ سورة الإخلاص بعد الفاتحة في الوتر.

كذلك في ركعتَي الطواف يقرأ في الأولى الكافِرون وفي الثانية الإخلاص.

كذلك أيضًا في ركعتَي الفجر ركعتَي الفجر سُنَّة الفجر الكافرون والإخلاص في الركعة الثانية.

وأيضا هناك سنة أخرى في ركعتي الفجر سنة الفجر أن يقرأ آية من البقرة وآية من آل عمران ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في الركعة الأولى آية من سورة البقرة وهي قوله تعالى {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} إلى آخر الآية، وفي الركعة الثانية {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} إلى آخر الآية.

هذه يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم في ركعتي الفجر كان يقرأ تارةً هذه وتارةً هذه، ولو قرأ غيرها لأجزأ ذلك.

أيضًا من السنن أن الإنسان يقرأها عند الصباح وعند المساء مع المعوذتين إذا أصبح الإنسان في أذكار الصباح في أوراد الصباح أنه يقرأ من هذه الأوراد أنه يقرأ المعوذتين ويقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} والمعوذتين في الصباح وكذلك في المساء.

متى يكون المساء؟

بعض أهل العلم يقول المساء يبدأ بعد صلاة العصر هذا وقت العشي النبي الله عز وجل يقول { بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} العشي يبدأ بعد صلاة العصر فالأذكار تبدأ بعد صلاة العصر، فهذا وقت المساء وبعضهم يقول بعد صلاة المغرب والأمر فيه سعة، فمن أتى بأذكاره وأوراده بعد العصر أو قبيل المغرب أو بعد الصلاة المباشرة أو بعد صلاة المغرب الأمر فيه سعة إلا ما دل الدليل على أنه

في الليل مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: [من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة]، قال: [في ليلة]، ما قال في المساء، فهذه متعلقة بعد غروب الشمس.

من الفضائل لسورة الإخلاص أنها أيضاً تقرأ بعد دُبر كل صلاة إذا صليت فريضة تقرأها في صلاة الظهر والعصر والعشاء مرةً مع المعوذتين وتقرأها ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب.

أيضاً من فضائل هذه السورة أن الإنسان إذا أوى إلى فراشه للنوم في الليل فإنه يأخذ كفَّيه ويجمع كفَّيه ثم يقرأ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَنْفُث فِي كَفَّيهِ كُلَّمَا قَرَأَ نَفَث ثُمَّ مَسَحَ بِهَا وجْهه وَسَائِرَ جَسَده.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك كل ليلة فهذه من السنن.

وقد توجد هناك سنن أخرى كثيرة في هذه السورة لم أكن أحصيها جميعاً ولكن هذا الذي استطعت أن آتي به حتى يكون الإنسان على بينة على معرفة في هذه السورة العظيمة التي تعددت وكثرت فيها الفضائل.

هذه السورة لها سبب نزول، وذلك أن المشركين جاءوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: [يا محمد انسِب لنا ربك من هو ربك؟] أنت تقول اعبد الله من هو ربك؟ فقال فأنزل الله هذه السورة { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.

وجاء في رواية أيضاً أن اليهود هم الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: [يا محمد انسِب لنا ربك]، وجاء في حديث ثالث أيضاً أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: [يا محمد انسِب لي ربك]، فأنزل الله هذه السورة، ولا مانع أن يكون هذه الأسباب كلها صحيحة يعني أهل مكة سألوه، اليهود سألوه، هذا الأعرابي سأله، قد تتعدد الأسئلة لحالة واحدة.

هذا ممكن جائز هذا في سبب نزول هذه السورة.

هذه السورة إذا قرأتها كلنا نحفظها الجميع يحفظها لكن تحتاج منا ماذا فهم لآياتها وتحتاج منا تدبر هذه السورة.

افتتحت بقوله {قُلْ} يدل على أي شيء يدل على الاهتمام بهذه السورة لما يقول لك قل وأقول لك أنا قل وأنت قل وقل وأكرر عليك كلمة قل هذا يدل على أنه ينبغي أن تعتني بها تعتني

بها، فلذلك جاء بعض السور بافتتاحيتها بهذا الفعل {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، {قُلْ أَعُوذُ...} وهكذا.

أيضا هذه افتتاحية واضحة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالآيات، وأنه يأتيه الوحي من السماء وأن الله يكلفه فيقول له قل يا محمد لهؤلاء كذا وكذا وكذا.

هذه السورة إذا نظرت إليها وتأملتها تأملاً دقيقاً وجدتها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فيه إثبات،

والقسم الثاني: فيه نفي.

ما هو الإثبات وما هو النفي؟ الإثبات أنها أثبتت لنا أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، في الجمل الأولى الثلاث، اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة، والقسم الثاني نفت عن الله صفات النقص التي لا تليق ولا ينبغي أن يُوصف الله بها.

يعني النصف الأول منها يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته هو سبحانه وتعالى، فيها القسم الثاني يجب علينا أن ننفي ما نفاه الله عن نفسه فتأمَّل معي {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}: {الله} هذا يدل على أي نوع من أنواع التوحيد؟ توحيد الألوهية أو توحيد الإلهية أو توحيد العبادة يعني الله المألوه المعبود المحبوب المستحق للعبادة المستحق للخضوع والإيمان والطاعة، هذا اللفظ الأول {الله} – توحيد الإلهية.

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {أَحَدٌ} يدل على توحيد الأسماء والصفات أنه أحد سبحانه وتعالى في ألوهيته أحد في ربوبيته أحد في إلهيته أحد في أفعاله وهو أحد في كل شيء.

وفرق بين أن يقول قل هو الله الواحد لما تقول الواحد والأحد فيه فرق كبير، الواحد والأحد فيه فرق كبير. كيف فرق كبير؟ لما يأتيك واحد يقول لك هل فلان عندك في البيت؟ تقول ما عندي أحد، هذا نفي مطلق ما عندي أحد أبدا، لما يقول لك هل فلان عندك في البيت؟ تقول ما عندي واحد، يعني عندي اثنين عندي ثلاثة ما عندي واحد فكلمة واحد ما تعطيك نفي مثل ما يعطيك كلمة أحد، فهو الأحد المنفرد المنفرد الفرد الفرد الأحد في إلهيته لا معبود بحق إلا هو في ربوبيته لا رب سواه وفي أفعاله وتصرفاته في الكون ليس هناك من يتدخَّل في أفعاله وفي تصرفاته في الكون، فبيده كل شيء، هو الأحد الغني الأحد.

وتأتي بجميع الأسماء الحسنى وتضعها أمام أحد تجده أحدٌ في غناه أحدٌ في سمعه أحدٌ في بصره أحدٌ في كذا وهكذا في سمعه.

هذه تعتبر كلمة أحد تثبت لنا ماذا؟ تثبت لنا يعني تثبت لنا اسم أو تثبت لنا هذا النوع من أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات يبقى عندنا التوحيد الثالث توحيد الربوبية أين هو؟ نقول في كلمة { الصَّمَدُ}.

ما معنى الصمد؟ ما هو الصمد؟ قالوا الصمد الذي يصمد إليه احتياجات الناس يعني الناس هم المحتاجون إليه وهو الغني فالخلق يصمدون إليه يصمدون إليه يعني يلتفتون إليه باحتياجاتهم حتى سائر المخلوقات الإنسان محتاج إلى ربه والحيوان محتاج إلى ربه وكل المخلوقات حتى الجمادات محتاجة إلى ربها والله هو الذي يتولاها فهو الصمد سبحانه وتعالى.

كلمة الصمد أن الخلق يتوجهون إليه وهو يصمد في إجاباتهم وإعطاء احتياجاتهم فأنت لما تقرأ هذه الكلمة وأنت تقرأ سورة الخلاص وتكررها دائماً في كل وقت تذكر كلمة الصمد أنك محتاج إلى ربك وأن الله هو الذي يعطيك ما تحتاج إليه هو الذي يستجيب دعاءك إذا سألته فتذكر هذه الكلمة.

وقال بعضهم إن {الصَّمَدُ} الذي لا جوف له يعني لا جوف له ولا يحتاج لا أكل ولا شرب ولا إلى أي شيء فهو سبحانه وتعالى الذي يطعِم ولا يطعَم سبحانه وتعالى، فهو الغني من كل وجه.

إذا عرفت هذه الأشياء الثلاثة التي تثبت لله الأسماء أو تثبت لله أنواع التوحيد فننتقل للقسم الثاني في السورة وهي ثلاثة أشياء ينفيها الله سبحانه وتعالى عن نفسه، فيقول لم يلد لم يلد، وهذا رد على هذه الطوائف الثلاث اليهود والنصارى والمشركين؛ اليهود قالوا عزير بن الله والله يقول {لَمْ يَلِدْ}، كيف يقولون ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، الله يقول { لَمْ يَلِدْ} وأنتم تقولون ابن الله، ما هذه جراءة، والنصارى يقولون المسيح ابن الله، والله يقول { لَمْ يَلِدْ}، والمشركون يقولون الملائكةُ بناتُ الله والله سبحانه وتعالى { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}، لو كان يُولَد لكان ضعيفًا لكان مُحتاجًا وهو غني من كل وجه، لا يحتاج إلى غيره سبحانه وتعالى والناس كلهم مُحتاجون إليه { ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، غنيٌّ من كل وجهٍ، سُبحانه وتعالى { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)} يعني لم يكن له مثيل، ولا شبيه، ولا ند، ما يشابه أحد لا

شبيهَ له، ولا مثيل له ولا ند له سبحانه وتعالى، هو المنفرد المنفرد بالصفات منفرد بالأفعال المنفرد بالأسماء المنفرد بكل شيء سبحانه وتعالى.

فالسورة إذا تأملتها تأملاً دقيقاً وجدت أن السورة على ما سميت عليه سورة الإخلاص فأنت تقرأها وأنت تُظهِر الإخلاص لله أنه بهذه الصفات وأنه ينبغي أن ننفي عنه هذه الصفات.

هذه كلمة {كُفُوًا أَحَدٌ} قُرئت قراءات صحيحة سبعية قرئت بأن تقول { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} بالواو {كُفُوًا أَحَدٌ} تضم الأولى الحرف الأول والثاني {كُفُوًا أَحَدٌ} وقرأت (كُفْءً) بالهمزة (كُفْءً أحد) لكن القراءة الخاطئة التي نسمعها أحياناً من بعض الناس تسمعها أنت وأنا أن يقول كُفْواً كُفْواً كُفْواً، هذا خطأ، هذا لحن في القراءة، الفاء التي بعد الكاف يسكنونها يقول كُفْواً كُفْواً هذا خطأ، الصحيح أن تقول {كُفُواً} ضم الأولى وضم الثانية { كُفُوًا أَحَدٌ}.

وعرفنا أنه لا يكافئه أحد ولا يشابه أحد ولا مثيل له.

السورة حقيقة السورة يعني لو تحدث عنها أنا وجلسنا جميعا نحن ونتدبرها نتأملها وهي سورة قصيرة ما أعطيناها حقها ما... لم نعطها حقها حقيقة.

مما تدل عليه هذه السورة والله يحب من أحبها ويدخل من أحبها الجنة؛ لا شك أنها سورة عظيمة، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ألف فيها مؤلفين كبار مؤلفات نأتي نحن ونتكلم بعشر دقائق أو ربع ساعة أو أكثر من ذلك أظن أننا ما أعطيناها حقها من المعاني والدلالات والتدبُّرات التي حول هذه السورة لكن ما ذكرناه فيه إن شاء الله الكفاية وفيه النفع.

أسأل الله ينفعنا بما قلنا وبما تحدثنا عنه والله أعلم.

وصلى الله وسلم على النبي محمد وعلى آل وصحبه أجمعين.